تقدير استراتيجي

التدخل العسكري الإيراني في سوريا

نظرة إلى المستقبل

بقلم

أفرايم كام

صادر عن

مركز دراسات الأمن القومي

جامعة تل أبيب

كتب أفرايم كام دراسة بعنوان "التدخل العسكري الإيراني في سوريا .. نظرة إلى المستقبل"، مشيرًا إلى أن إيران تنوي إبقاء قوات عسكرية في سوريا لفترة طويلة، بهدف ضمان استقرار نظام الأسد لفترة طويلة، وتعزيز نفوذها في سوريا والأحياء فيها، وتشديد التهديد على إسرائيل، بواسطة حزب الله.

إبقاء القوات في سوريا ليس مضمونًا لفترة طويلة في أعقاب ضغوط مختلفة، ولكن إذا بقيت في سوريا فمن المتوقع أن يكون أساسها مكونًا من مقاتلي حزب الله والمليشيات الشيعية العراقية، وبدرجة أقل الأفغانية والباكستانية، حيث تتم قيادة هذه القوات من قبل حرس الثورة الإيراني وقوة القدس. في هذه الحالة، ستعزز سيطرة إيران في سوريا وتأثيرها الإقليمي، وتخلق تهديدات جديدة على إسرائيل.

من جهة أخرى، في التدخل العسكري الإيراني هناك نقاط ضعف تشمل قدرة إسرائيلية مطورة على المس بها، حيث يبدو بصورة خفية أن إيران لن تسارع إلى تحدي إسرائيل، بل ستركز حاليًا في تعزيز قدرة ردعها تجاه إسرائيل. في كل الحالات، إسرائيل سيكون عليها تطوير قدرتها الرادعة تجاه إيران، من خلال التعاون مع الإدارة الأمريكية.

إحدى المسائل الأمنية الاساسية التي تشغل الآن جهاز الأمن الإسرائيلي هي إمكانية أن تقوم إيران باستغلال تدخل قواتها الحالي وحلفائها في الحرب السورية من أجل إيجاد وجود عسكري طويل المدى في سوريا بشكل عام وقرب الحدود مع إسرائيل بشكل خاص. تواجد كهذا إذا حدث مستقبلا، من شأنه أن يخلق تهديدات جديدة على إسرائيل - في الاساس ازاء امكانية مواجهة عسكرية مع إيران و/أو فروعها.

رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو قرر في خطابه في افتتاح الدورة الـ 23 للكنيست في تشرين الاول 2017 بأنه على رأس التحديات التي تواجه إسرائيل تحدي "الحاجة إلى صد محاولات إيران التركز العسكري في سوريا". هذه الصيغة تدل على أنه حسب الحكومة الإسرائيلية فان مواجهة الاختراق العسكري الإيراني لسوريا لا تقل في المرحلة الحالية عن الحاجة إلى وقف سعي إيران للحصول على السلاح النووي، طالما أن المشروع النووي الإيراني يوجد تحت قيود الاتفاق النووي.

التدخل المستقبلي في سوريا - اعتبارات إيران

إيران لا توضح إلى أي مدى ستواصل في سوريا إبقاء القوات التي تحت قيادتها. تدخلها حتى الآن فسرته بالحاجة إلى علاج التهديدات الموجهة اليها والتي تنبع من الوضع في سوريا، وبأهمية تقديم المساعدة لنظام الأسد من اجل التغلب على أعدائه وبطلب النظام السوري الحصول على المساعدة الإيرانية. ولكن يمكن الافتراض أنها تنوي إبقاء تواجد عسكري تام في سوريا لفترة طويلة - أيضًا بعد استقرار نظام الأسد - على الاقل طالما أن النظام السوري بحاجة اليها ويريد ذلك.

من جهة إيران، سيكون لوجود قوات لفترة طويلة في سوريا عدة أهداف؛ أولًا: من المهم لإيران مساعدة نظام الأسد في تثبيت سلطة الاقلية وضمان بقائه لفترة طويلة - كما أنه ما زال لا يسيطر على كل الدولة، ويوجد له حساب دموي طويل مع عدد كبير من السكان وبقاءه غير مضمون، أيضًا حتى لو تحسنت احتمالاته. من المهم لإيران الاحتفاظ بقوات في سوريا من اجل المشاركة في تشكيل الاتفاق الذي سيتم التوصل اليه حول مستقبل الدولة والنظام، وربط سوريا بها والتأثير بدرجة حاسمة على قراراتها وسلوكها، أيضًا في حالة سقوط نظام الأسد.

ثانيًا: لأن الإيرانيين غير متأكدين أن نظام الأسد سيستمر إلى زمن طويل، فهم يريدون بناء قدرات تأثير مستقلة في سوريا. أداة هامة بنيت لهذا الغرض هي ميليشيتين سوريتين جديدتين أقيمتا من قبل إيران بواسطة قوة القدس وحزب الله: مليشيا "قوات الدفاع الوطني" التي تضم عشرات آلاف الاشخاص، معظمهم علويون، ومليشيا شيعية تسمى "قوة الرضى" التي تم تجنيد رجالها من القرى الشيعية في سوريا. هدف قوة

القدس هو تحويل المليشيات السورية إلى قوة عسكرية سياسية ثابتة، وأن يتم تشغيلها من قبلها مثلما هي الحال في حزب الله.

ثالثًا: وجود عسكري طويل المدى في سوريا هام لإيران من أجل دق إسفين للتأثير في قلب العالم العربي، وتثبيت القوس الشيعي من إيران حتى لبنان. الازمات الخطيرة في سوريا والعراق وظهور "داعش" أثبت لإيران إلى أي درجة محيطها الاستراتيجي غير مستقر ومليء بأسباب التضعضع والاخطار. الوجود العسكري في سوريا على المدى البعيد هام لإيران من اجل تعزيز تأثيرها في العراق ولبنان - وهما دولتان فيهما اغلبية شيعية؛ لمنع اقامة دولة كردية مستقلة من شأنها اثارة الاقلية الكردية في إيران وخلق قوة موازية لأعدائها في فضاء الشرق الاوسط، وعلى رأسهم السعودية؛ وربما أيضًا الدخول إلى الساحة الفلسطينية.

التواجد في سوريا سيساعد إيران على منع اعادة ظهور منظمات ارهابية مثل "داعش" وخريجي القاعدة، الذين يعرضون للخطر أيضًا أمن المصالح الإيرانية. ولا يقل اهمية عن ذلك فان توسيع نفوذ إيران في هذه المنطقة الاساسية في الشرق الاوسط من شأنه أن يساعدها على تقليص نفوذ أمريكا في هذا الفضاء.

رابعًا: وجود عسكري طويل في سوريا سيساعد إيران على تشديد التهديد على إسرائيل من ناحية حزب الله ومنظمات اخرى بواسطة اطالة الجبهة مع إسرائيل من جنوب لبنان وحتى هضبة الجولان. هذه الجبهة يمكنها المساعدة في تثبيت ممر بري لنقل الوسائل القتالية والقوات من إيران والعراق إلى سوريا ولبنان، واقامة مصانع لإنتاج وتركيب سلاح نوعي في سوريا ولبنان - في الاساس قذائف وسلاح دقيق.

خامسًا: طالما استمرت النشاطات العسكرية في سوريا فهي ستساعد إيران في تطوير القدرات العسكرية للقوات الإيرانية وممثليها، والاستمرار مهم لإيران في الاساس من اجل بناء قوة تدخل إيرانية شيعية تمكن من تحقيق وترسيخ النفوذ في هذا الفضاء. وعند الحاجة التدخل - باستثناء سوريا - في دول توجد لإيران فيها مصالح وعلى رأسها العراق ولبنان، وربما أيضًا اليمن. إن استمرار تواجد القوات في سوريا يمكنه أن يمنح إيران قاعدة وخدمات بحرية وربما جوية على شواطيء البحر المتوسط - إذا وافقت سوريا على ذلك. هذا الامر سيشكل قاعدة لاستمرار التعاون العسكري مع روسيا، وربما ايجاد تعاون عسكري مع تركيا ايضا. ومن اجل تعزيز مواقعها تسعى إيران من الان لبناء قواعد في سوريا للقوات الشيعية المرتبطة بها.

إضافة إلى ذلك، إيران يجب عليها ان تأخذ في الحسبان أن التواجد طويل المدى في سوريا سيكون مرتبط بأخطار وأنه لن يكون باستطاعتها تحقيق اهدافها، أو على الاقل جزء منها. إيران ومبعوثوها سيتورطون في مواجهة عسكرية مع القوات الأمريكية أو القوات الإسرائيلية أو مع عناصر قوة نشيطة في الساحة السورية. كما يجب علينا التذكر أن عدد كبير من السكان السنة معاد لنظام الأسد وإيران بعد التدمير والقتل الذي

سببوه لسوريا، وسيتحفظ من مواصلة التواجد والنفوذ الإيراني في سوريا. إن استمرار بقاء القوات في سوريا لن يكون سهلا بالنسبة لنظام إيران، الامر الذي من شأنه أن يتحول بالنسبة له إلى عبء اقتصادي وعسكري حقيقي. سؤال مفتوح هو ماذا ستكون سياسة النظام السوري في المستقبل الابعد تجاه إيران وتواجدها في سوريا: اليوم نظام الأسد بحاجة إلى التواجد الإيراني من اجل تحسين وضعه وضمان مستقبله، ولكن إذا استقر نظامه، فهل سيكون مستعدا ومعنيا بأن يكون متعلقا بإيران بصورة دائمة؟

طبيعة التدخل الإيراني المستقبلي

في هذه المرحلة ليس معروفا ماذا ستكون مكونات وخصائص التدخل الإيراني في سوريا مستقبلا، على فرض أن هذا التدخل سيستمر لفترة طويلة نسبيا. سيكون مرتبطا كثيرا بمسألة هل الأزمة في سوريا والحرب المرتبطة بها ستنتهي إلى درجة الهدوء أو ستستمر بهذه الصورة أو تلك. كلما اقتربت الأزمة من نهايتها تستطيع إيران أن توجه قوات اقل للمهمات القتالية، وبذل الجهود لبناء مكانتها في سوريا على المدى البعيد. وخلال ذلك لبناء الجبهة اللبنانية - السورية امام إسرائيل. ولكن في هذا السيناريو يطرح سؤال آخر: هل نظام الأسد سيكون معنيا باستمرار التواجد العسكري الإيراني في بلاده لفترة طويلة، أو أنه في مرحلة معينة سيفضل أن تخلي مكانها أو تتقلص بدرجة كبيرة من اجل ألا يكون مقيد أكثر من اللزوم بواسطة إيران.

على فرض أن استمرار التواجد الإيراني في سوريا، فان الامكانية الأكثر معقولية هي أن إيران ستفضل الامتناع عن ارسال قوات كبيرة إلى سوريا. وبدل ذلك ستطلب استمرار وجود نموذج التدخل الذي اقيم في سوريا في 2014. بكلمات اخرى، ستسعى إلى مواصلة قيادة القوة العسكرية التي ستوضع في سوريا بواسطة قادة ووحدات خاصة، وبالأساس من حرس الثورة وقوة القدس، في حين أن الجزء الاساسي من القوة المقاتلة يأتي من مليشيات شيعية وحزب الله اللبناني ومليشيات شيعية عراقية موالية لإيران، وبدرجة تفضيل اقل من المليشيات الافغانية والباكستانية.

هذا النموذج مريح أكثر لإيران من ارسال قوات إيرانية كبيرة نسبيا، من عدة نواحي. فهو يمكن إيران من نفي مشاركتها في عمليات قتالية في سوريا. كما أنه يقلص المخاطرة في التورط المباشر مع إسرائيل وربما مع الولايات المتحدة، ويمنحها مرونة أكثر في علاج الازمات المتعلقة بالوضع السوري. كما أنه يقلل الخسائر التي ستتكبدها إيران في حالة استمرار القتال في سوريا.

إن خفض مشاركتها العسكرية المباشرة في سوريا مريح للنظام الإيراني أيضًا ازاء الاحتجاج الكبير الذي اندلع في إيران في نهاية كانون الاول 2017، والذي هو موجه جزئيا ضد القتال الإيراني في سوريا. هذا النموذج سيساهم أيضًا في خلق صورة لقوة

شيعية متعددة القوميات تعزز المعسكر الشيعي مقابل المعسكر السني ليس فقط في سوريا بل في دول اخرى ومنها العراق. وهو سيساهم في تحسين القدرة العسكرية للمليشيات الشيعية - حزب الله والمليشيات العراقية.

اضافة إلى ذلك، احتمالية بقاء قوات إيرانية في سوريا لزمن طويل - إلى جانب مقاتلي حزب الله وربما مقاتلي المليشيات الشيعية الاخرى - غير مؤكدة. منذ العام 2013 ظهرت من حين إلى آخر أنباء بأن حزب الله سيعيد مقاتليه من سوريا إلى لبنان وذلك لعدة اسباب. السبب الاهم هو أنه إذا تم التوصل إلى اتفاق شامل حول مستقبل سوريا فان كل القوات الأجنبية سيطلب منها الخروج من سوريا في إطار الاتفاق. عن ذلك أعلن وزير الخارجية التركي في كانون الثاني 2017 واضاف بوضوح أنه في إطار الاتفاق سيضطر حزب الله إلى اخراج قواته من سوريا. السبب الثاني، في لبنان هناك اوساط تعارض بقاء حزب الله في سوريا لفترة طويلة. هكذا قال رئيس لبنان ميشيل عون في نهاية تشرين الثاني 2017 بأن حزب الله سيعيد مقاتليه إلى لبنان بعد انتهاء الحرب في سوريا ضد الارهاب.

إضافة إلى ذلك، في حزب الله أيضًا هناك كما يبدو من يتحفظون من مشاركة مقاتليه في سوريا واستخدامهم كطعام للمدافع في صالح إيران. حزب الله أيضًا يخاف من هجمات إسرائيلية على قواته في سوريا. وكلما ازداد هذا الخوف فسيكون معني أكثر بالخروج من سوريا. وهناك سؤال مفتوح - هل سيكون الأسد معني ببقاء حزب الله في حدود سوريا إذا استقر نظامه وانتهت الحرب؟ المتحدثون بلسان حزب الله نفوا نية اعادة المقاتلين إلى لبنان وقالوا إنهم لن يعودوا قبل انهاء المهمة في سوريا. أيضًا رئيس حزب الله، حسن نصر الله، أعلن في تشرين الثاني 2017 بأن حزبه مستعد لإخراج قواته من العراق في اعقاب هزيمة "داعش"، لكنه امتنع عن التطرق إلى اخراج قواته من سوريا. في كل الاحوال فان قرار إبقاء حزب الله في سوريا سيكون في ايدي إيران أكثر منه في أيدي الحزب اللبناني.

مسألة بقاءهم في سوريا وتموضع القوات الإيرانية ومقاتلي حزب الله ومليشيات شيعية اخرى طرحت في المحادثات التي جرت في تشرين الثاني 2017 بين الولايات المتحدة وروسيا والاردن والتي افضت إلى اتفاق بشأن وقف إطلاق النار في جنوب سوريا. حسب مصدر أمريكي، فان الاتفاق الذي تم التوصل اليه ينص على أن القوات الأجنبية غير السورية - ومنها "حرس الثورة" وحزب الله والمليشيات الاخرى - سيتم اخراجها من المنطقة الأمنة في جنوب سوريا. وفي نهاية العملية سيطلب منها الخروج من سوريا كلها. هذا الملخص يتضح أيضًا من الإعلان المشترك للولايات المتحدة وروسيا بعد التوقيع على الاتفاق والذي يقضي بأن يشمل الاتفاق تقليص القوات الأجنبية في سوريا واخراجها من المنطقة في نهاية المطاف.

ولكن في هذا الاتفاق هناك عدة مشكلات. أولا، هو لا يشمل جدول زمني لخروج القوات، ويمكن أن تستمر العملية لسنوات، وربما سنوات كثيرة. ثانيا، بعد بضعة ايام من التوقيع عليه أعلن وزير الخارجية الروسي بأن روسيا لم تتعهد بالاهتمام بإخراج القوات الإيرانية والقوات المرتبطة بها من سوريا، وأن وجودها في سوريا هو مشروع لأنه تم استدعاءها من قبل النظام المعترف به في سوريا. هذا الإعلان يمكن أن يعزز الانطباع بأن نية إيران بإبقاء القوات المرتبطة بها في سوريا لفترة طويلة، بدعم روسيا. ثالثا، المسافة التي حددت بين المنطقة التي يسمح فيها لهذه القوات بالعمل وبين الحدود مع إسرائيل في هضبة الجولان، بقيت اشكالية بالنسبة لإسرائيل. إسرائيل طلبت أن تكون المسافة 50 - 60 كم، في حين أن روسيا وافقت بداية على مسافة 5 كم عن الحدود، وبعد ذلك تم الاتفاق على حل وسط يقضي بأن تكون المسافة في معظم المناطق 20 كم، وفي جزء منها 5 كم.

مستقبل التدخل الإيراني في سوريا: نقاط القوة والضعف

إذا بقيت إيران رغم الصعوبات والتساؤلات قوة شيعية كبيرة في سوريا لفترة طويلة، فهذا يعني تشديد التهديد الذي ستبثه تجاه إسرائيل. إيران ستضع قوات كبيرة اخرى قرب إسرائيل وستبني جبهة اضافية امامها، التي سيتم ملؤها برجال حزب الله و/ أو مقاتلي المليشيات العراقية، بموازاة جبهة جنوب لبنان. اعادة الانتشار هذه ستوفر لحزب الله امكانيات أكبر للعمل ضد اهداف إسرائيلية وضد الجبهة الداخلية الإسرائيلية، وسيشتت قواته من اجل تقليص امكانية ضربها. الممر الذي تنشئه إيران من العراق وحتى سوريا والمصانع التي تقيمها في سوريا لإنتاج الوسائل القتالية ستمكن من نقل السلاح النوعي لحزب الله بسريعة وبكميات كبيرة.

هذا لا يعني أن إيران ستسارع إلى تشغيل حزب الله ضد إسرائيل أو القوات الاخرى التي ستضعها في سوريا. يجدر الذكر أن حزب الله يخشى منذ أكثر من عقد من أن يتحدى بصورة كبيرة إسرائيل ولديه اسباب جيدة لذلك، رغم ترسانة الصواريخ الكبيرة التي بناها، وفي معظم الحالات هو لم يرد رغم أن إسرائيل قصفت مرات كثيرة قوافل سلاح ومنشآت للمنظمة في سوريا ولبنان. حيث هناك شك بأن إسرائيل قصفت في كانون الثاني 2015 قافلة لحزب الله في الجولان. في ذلك الهجوم قتل جنرال إيراني من حرس الثورة ومعه خمسة اشخاص من حزب الله، والصحيح ستة اشخاص، على رأسهم جهاد بن عماد مغنية الذي تولى رئاسة الذراع العسكري لحزب الله، الذين كانوا يفحصون امكانية اقامة بنية تحتية للإرهاب من هضبة الجولان. ورغم خطورة الضربة إلا أن إيران لم ترد كالعادة في حين أن حزب الله رد على هذا القصف بصورة محدودة، إطلاق نار من لبنان قتل فيه جنديان إسرائيليان.

علاوة على ذلك، إيران لم تواجه إسرائيل بصورة مباشرة في أي يوم على الصعيد العسكري - يمكن الافتراض أن ذلك بإدراكها بتفوق إسرائيل. حيث أنه رغم قوتها العسكرية وفي الاساس نظام الصواريخ الكبير والمتقدم لها إلا أن لها نقاط ضعف في الميزان الاستراتيجي والعسكري مقابل إسرائيل. القدرة العسكرية التقليدية لإيران تقوم على وسائل قتالية قديمة، لا سيما في المجال الجوي، حيث أن سلاحها الجوي يتشكل من طائرات أمريكية وروسية وصينية عمرها 30 - 40 سنة، كما يجب على إيران أن تأخذ في الحسبان أن المواجهة العسكرية مع إسرائيل من شأنها أن تخلق فرصة وذريعة لإسرائيل لمهاجمة المنشآت النووية الإيرانية، وربما بدعم أمريكي.

إيران حقا تبني امكانيات ستمكنها في المستقبل من القيام بعمليات عسكرية في العراق وسوريا، وربما في لبنان ايضا، لكن التدخل في هذه الدول يعني مواجهة اعداء وصعوبات على بعد مئات الكيلومترات من الحدود الإيرانية، حيث أن التدخل في سوريا ولبنان تم في دول ليست محاذية لإيران. اضافة إلى ذلك، فان قرب القوات الإيرانية والمليشيات الشيعية تخلق حقا تهديد متزايد على إسرائيل. ولكنه يخلق لها أيضًا افضليات وفرص. إسرائيل تستطيع استغلال الانتشار الإيراني الشيعي من اجل مهاجمة قوافل السلاح التي ستمر في الممر من العراق إلى سوريا ولبنان. وأن تشوش هذا الانتقال وتمس بإسهامه في تعزيز حزب الله، بما في ذلك ضرب مصانع السلاح التي تقيمها إيران لصالح حزب الله. لقد سبق واثبتت إسرائيل لإيران وحزب الله أن في يدها معلومات استخبارية فائقة، تمكنها من أن تضرب بدقة اهداف في سوريا ولبنان.

لقد سبق وقيل إن استخدام المليشيات الشيعية كقاعدة لبناء التواجد والنفوذ الإيراني سيمنح افضليات لإيران منها خلق مرونة خلال الازمات وتقليص الاخطار أمام الاعداء. لكن هذا أيضًا سيمكن إسرائيل من ضرب المليشيات التي تتحداها من خلال تقليص الاخطار التي تكتنف رد الطرف الثاني، على خلفية حقيقة أن إيران امتنعت حتى الآن عن الرد على ضرب حزب الله من جانب إسرائيل. هكذا، فان إسرائيل امتنعت بشكل عام عن ضرب جهات إيرانية باستثناء حالات معدودة، لكنها شخصت اهمية عمل نسبية لضرب حزب الله بدون رد.

علينا أن نضيف إلى هذا الردع الأمريكي. منذ بداية التسعينيات في القرن الماضي فان التهديد الأمريكي اعتبر من قبل إيران بأنه التهديد الاستراتيجي الرئيس الموجه اليها. إدارة ترامب اعتبرت في نظر إيران أنها تهديد خطير بشكل خاص. بتأكيدها على سلوك إيران - سعيها للحصول على السلاح النووي، وتدخلها في دول اخرى، وتهديدها لإسرائيل وتورطها في الارهاب - وبتعهدها على صدها. صحيح في هذه الاثناء أن إدارة ترامب تهدد أكثر مما تنفذ، لكن إيران لا تستطيع تجاهل امكانية أنه في وقت ما ستقوم بالعمل ضدها - فرض عقوبات أشد من العقوبات التي فرضتها عليها حتى الآن، وحتى عملية عسكرية وضمن ذلك إذا حاولت إيران المس بإسرائيل. من الواضح أن الامر الاخير الذي تريده إيران هو مواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة.

اضافة إلى ذلك، ورغم رؤية التهديد الأمريكية في نظر إيران، يصعب الآن رؤية الولايات المتحدة وهي تقوم بعملية حقيقية ضد إيران في اعقاب نشاطاتها في سوريا. إدارة ترامب عرفت بصورة واضحة تدخل إيران في دول اخرى كجزء هام من تهديد إيران للولايات المتحدة وحلفائها، لكن عمليا، لم تعد حتى الآن الادوات، باستثناء فرض عقوبات اخرى عليها، كما يبدو بدون مشاركة اوروبية، ربما أيضًا أن الإدارة الأمريكية بدأت في إدراك أنه ليس لديها رد ناجع لتقليص حضور ونفوذ إيران، سواء في سوريا أو في العراق. الولايات المتحدة من شأنها أن تتخذ خطوات عسكرية محلية محدودة ضد إيران، وأكثر من ذلك ضد المليشيات الشيعية مثل إطلاق نار محدود أو اسقاط طائرات بدون طيار. ولكن يبدو أنه فقط خطوة إيرانية صارخة بشكل خاص يمكنها أن تحرك الإدارة للعمل بقدر هام ضد القوات الإيرانية.

إلى هذه المعادلة يجب ادخال العنصر الروسي ايضا. روسيا ليست حليفة لإيران ومصالحهما مختلفة، لكنها تتعاون معها بمساعدة هامة لنظام الأسد واستقراره. كما يبدو روسيا أيضًا تنوي إبقاء قوات محدودة لها في سوريا، ربما لفترة زمنية ليست قصيرة، من اجل ضمان استقرار النظام في سوريا والخدمات البحرية والجوية المعطاة لها في حدود سوريا. رئيس روسيا بوتين قال اثناء زيارته في سوريا في كانون الاول 2017 إنه أمر بالبدء في اخراج معظم القوات الروسية من سوريا واعادتها إلى روسيا، بعد أن انتصر هو والجيش السوري على الارهاب. وقبله قال رئيس الاركان الروسي إنه يتوقع أن يقلص القوات الروسية في سوريا بدرجة كبيرة وأن التقليص سيبدأ قبل نهاية العام 2017.

ولكن يبدو أن التقليص تم لأسباب تكتيكية: روسيا ليس لها قوات برية كبيرة في سوريا، وعندما يتضاءل القتال في الدولة فان روسيا تستطيع السماح لنفسها بإخراج جزء من القوات، مثلما أعلنت عن ذلك في كانون الثاني 2017. اضافة إلى ذلك، رئيس الاركان أعلن أن القوات الروسية ستواصل احتفاظها بقاعدتين في سوريا، كذلك وحدات من اجل الحفاظ على الوضع الذي نشأ في سوريا، وهكذا تحتفظ روسيا بأيديها بإمكانية تعزيز قواتها في سوريا حسب الحاجة، وستواصل الحصول على خدمات في سوريا في القاعدة الجوية "حميميم" وفي القاعدة البحرية في طرطوس. علاوة على ذلك، فان وزير الدفاع الروسي أعلن أنه تم البدء بإقامة وجود عسكري ثابت في القاعدتين وأن البرلمان الروسي صادق على التوقيع على اتفاق مع الحكومة السورية لمدة 49 سنة يقضي بتوسيع استخدام الطائرات والسفن الروسية في القاعدتين.

يمكن الافتراض أنه طالما استمر القتال في سوريا، فان روسيا ستدعم استمرار تواجد القوات الإيرانية وحزب الله والمليشيات الشيعية الاخرى في سوريا، وعلى الاقل هي لن تعارض ذلك، كما أعلن وزير الخارجية الروسي. ولكن من غير المستبعد أن تؤيد روسيا اخراج جزء من هذه القوات، على الاقل في حالة هدوء ثابت وفي إطار اتفاق

شامل، إذا تحقق. كما أنه لا يوجد لروسيا شأن في حدوث مواجهة بين إسرائيل وإيران. ومن شأنها أن تشكل عنصر تهدئة ووسيط لمنع مواجهة كهذه.

المعنى بالنسبة لإسرائيل والولايات المتحدة

تواجد عسكري طويل المدى لإيران وأذرعها في سوريا يخلق تهديد مستقبلي هام لإسرائيل. هذا التواجد يساعد أيضًا على خلق تواصل جغرافي كقاعدة للنشاط والتأثير الإيراني، من إيران وحتى سوريا ولبنان، يمكن إيران من تحريك القوات والوسائل القتالية على طول هذا التواصل. كل ذلك يشكل قاعدة اساسية للمبادرة إلى العمليات في إسرائيل مستقبلا، في الاساس بواسطة حزب الله والمليشيات الشيعية، إذا وعندما ترى إيران حاجة إلى ذلك. وفي جبهة اطول - من لبنان وحتى هضبة الجولان. فكرة الجبهة الواسعة ليست جديدة بالنسبة لإيران وحزب الله، وقد عملوا لوضع بنى تحتية لذلك في سنوات سابقة بواسطة "قوة القدس". ولكن في حالة وضع القوات المرتبطة بإيران في سوريا لزمن طويل. وعندما يستطيع حزب الله الحصول على وسائل قتالية نوعية أفضل وبصورة متواصلة من خلال الممر وبواسطة مصانع الاسلحة في سوريا ولبنان - إيران تستطيع أن تشدد التهديد على إسرائيل.

إلى جانب ذلك، في اعقاب نقاط الضعف الكامنة في التدخل الإيراني، من المعقول أكثر الافتراض أنه على الاقل في الوضع الراهن لا يوجد لإيران مصلحة في استفزاز إسرائيل والمواجهة معها. في هذه الفترة الزمنية فان الاهتمام الإقليمي الأساسي لإيران هو تثبيت النظام في سوريا وفي العراق ونفوذها فيهما. المواجهة مع إسرائيل يمكنها المس بإيران بصورة أكبر، كما انه يحرفها عن اهدافها الإقليمية الاساسية ومن شأنه أن يعمل على تعقيد علاقاتها مع الولايات المتحدة. لذلك يمكن الافتراض أنه في المرحلة الحالية فان الهدف الاساسي لتدخل إيران في سوريا ولبنان في السياق الإسرائيلي هو تحسين قدرة الردع الإيرانية تجاه إسرائيل، وفي الاساس عن طريق تعزيز المليشيات الشيعية في سوريا وعلى رأسها حزب الله، وليس الوصول إلى مواجهة عسكرية مع إسرائيل. ويدعم هذا الافتراض حقيقة أنه منذ 2015 امتنع حزب الله عن استفزاز إسرائيل.

لا يوجد تأكيد على أن إيران ستنجح في أن تبقي في سوريا لفترة طويلة قوات هامة من الحرس الثوري والمليشيات الشيعية، لا سيما في هضبة الجولان. إذا استقر في وقت ما الوضع في سوريا فربما في إطار اتفاق سيطلب من القوات الأجنبية الخروج من سوريا، ويمكن أنه في وضع انتهاء الأزمة واستقرار نظام الأسد النسبي سيكون معني بذلك. ولكن حتى لو حدث ذلك فان استمرار وجود الممر من العراق إلى سوريا ولبنان سيمكن إيران من نقل قوات وسلاح إلى حزب الله. من جهة اخرى، إذا نجحت إيران

في إبقاء قوات في لبنان فمن الواضح أنه من بين كل المليشيات الشيعية - التي ستكون كما يبدو العنصر الاساسي بين هذه القوات - فان حزب الله سيشكل التهديد الاساسي لإسرائيل: هذه هي المليشيا الأكثر جودة والأكثر تعلقا بإيران، حيث توجد لها تجربة كبيرة في المواجهة مع إسرائيل وهي تعرف بصورة أفضل المنطقة، وفوق كل ذلك، يوجد لديها مخزن الصواريخ الكبير الذي يمكنها من تحدي إسرائيل.

قرب المسافة بين القوات العسكرية لإسرائيل وإيران تمنح إسرائيل امكانيات جديدة للمس بأهداف إيرانية، إذا كانت حاجة لذلك، بما في ذلك من اجل تشويش نشاط الممر. في هذا الشأن فان إيران وحزب الله لن يردا بعملية عسكرية ضد إسرائيل في اعقاب الهجوم الجوي على قاعدة عسكرية إيرانية قرب دمشق في بداية كانون الاول 2017. هذا الهجوم الذي نسب لإسرائيل، يعتبر رسالة لإيران لعدم اجتياز الخطوط الحمراء المتمثلة بوضع قوات إيرانية - شيعية قرب الحدود مع إسرائيل. ولكن في نفس الوقت هذا القرب ونشاط القوات الإيرانية أو حزب الله أو المليشيات الشيعية على الارض يزيد المخاطرة بمواجهة بين قوات الطرفين - مواجهة متعمدة من قبل أحد الطرفين أو مواجهة غير متعمدة نتيجة تدهور الوضع. في هذا الإطار يجب الاخذ في الحسبان انه أيضًا إذا كانت حتى الآن إيران وحزب الله امتنعا بشكل عام عن الرد على هجمات الجيش الإسرائيلي ضد قوافل ومنشآت حزب الله فليس هناك ضمانة أنهما سيتصرفان بهذا الشكل مستقبلا. كلما استمر الجيش الإسرائيلي في هجماته كلما ازداد اهتمام إيران وحزب الله بالرد عليها من اجل ردع إسرائيل عن الاستمرار بها. لذلك، في مرحلة معينة فان حزب الله وبدعم من إيران سيرد بخطوات مضادة في اعقاب ضرب الجيش الإسرائيلي لرجاله ومنشآته.

على مدى سنوات، لا سيما بعد حرب لبنان الثانية، نجحت إسرائيل في ردع موثوق جدا امام حزب الله. إسرائيل ستضطر الآن إلى الحفاظ على هذا الردع وتعزيزه عندما يتغير عدد من المعطيات لصالح حزب الله: مقاتلو حزب الله يوجدون في سوريا، في سوريا توجد أيضًا قوات إيرانية ومليشيات شيعية راكمت تجربة قتالية هامة يمكنها تعزيز ثقة حزب الله بنفسه ودفعه إلى الرد على هجمات إسرائيل. إيران تطور قدراتها في نقل الوسائل القتالية المتقدمة بسرعة إلى حزب الله من انتاج مصانع السلاح التي اقامتها في سوريا وعن طريق الممر من العراق. بضع خطوات أكثر من التي تم اتخاذها حتى الآن يمكنها تعزيز ردع إسرائيل: توضيح لا لبس فيه للخطوط الحمراء الإسرائيلية بالنسبة لنشاطات حزب الله والقوات الاخرى المرتبطة بإيران، تشويش المرور في الممر، مواصلة ضرب القوافل التي تحمل وسائل قتالية نوعية والمصانع دون الإعلان عن تحمل المسؤولية عن هذه الضربات، ونشاط عسكري أمريكي ضد اهداف المليشيات الشيعية، إذا توصلت إدارة ترامب إلى استنتاج أن مثل هذا النشاط هو امر مطلوب من اجل تعزيز مصداقيتها.

احتمال البقاء لفترة طويلة للقوات الإيرانية والشيعية في سوريا، بالتأكيد إذا اجتازت هضبة الجولان أو المنطقة القريبة منها تقتضي حديثا وتعاونا مع الإدارة الأمريكية. المشكلة هي أن إدارة ترامب بدأت طريقها بلهجة شديدة تجاه إيران - سواء في قضية المشروع النووي أو النشاطات الإقليمية - لكن ما زالت لم تتبلور طرق عمل لكبح تدخلها في دول اخرى. إن عدم رد الإدارة الأمريكية على الدعم الذي تقدمه روسيا لتدخل إيران في سوريا، ربما بسبب رغبتها في تقريب روسيا اليها، لا يساهم في ردع إيران. في هذا الوضع فان إدارة ترامب تبقي فعليا وبدرجة كبيرة الساحة السورية لروسيا وإيران، إذ انه امام السلبية الأمريكية ليس هناك جهة إقليمية تكبح التدخل الإيراني في سوريا.

بالتحديد بسبب ذلك هناك حاجة إلى توضيح موثوق من جهة الإدارة بأنها ستشدد خطواتها تجاه إيران وحزب الله إذا استمرا في استفزاز الولايات المتحدة وحلفائها. إدارة ترامب يمكنها اتخاذ عدة خطوات لكبح اختراق إيران داخل سوريا على المدى البعيد. في إطار مفاوضات حول مستقبل سوريا يمكن للإدارة أن تجري محادثات مع روسيا وتركيا بشأن إخراج القوات الأجنبية من سوريا ضمن جدول زمني محدد في إطار اتفاق شامل، كما اتفق عليه في تشرين الثاني 2017. تركيا سبق وعبرت عن دعمها لهذه الخطوة، ويجب عدم استبعاد احتمالية أن روسيا أيضًا ستدعمها، وربما مقابل ثمن أمريكي. الإدارة تستطيع فرض عقوبات اخرى على إيران في سياق تدخلها العسكري في سوريا. وتستطيع فحص اتخاذ خطوات عسكرية محدودة من اجل أن تصعب على إيران استخدام الممر لنقل القوات والوسائل القتالية.